آية الكرسي

الشيخ / عبد العظيم بدوي

هذه هي آية الكرسي ، وهي آية ذات شأن عظيم ، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنها أعظم آية في كتاب الله عز وجل : فعن أبيّ بين كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر ! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » .

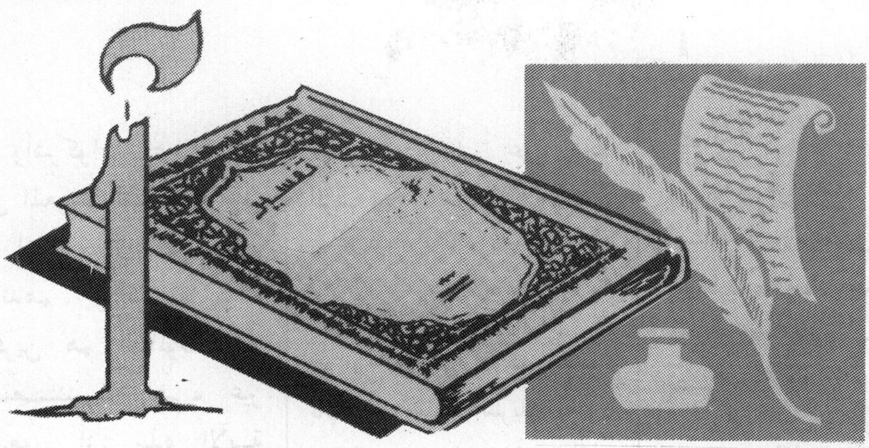
قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « يا أبا المنذر ! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال : فضرب في صدري وقال : « والله ! ليهْنِك العلمُ أبا المنذر[1] » .

وفيها اسم الله الأعظم كما في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في (البقرة) و (آل عمران) و (طه)[2] » .

أما البقرة فـ ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾ ، وأما آل عمران فـ ﴿ آلم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾ ، وأمّا طه ففي قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلحَـيِّ الْقَيُّوم ﴾ . فاسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وأذا دُعي به أجاب هو : الحيّ القيوم ، ولذا كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر يقول : « يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث »[3] .

ولقد كان ﷺ يحث على قراءة هذه الآية دبر كل صلاة فيقول : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة

يحق لمن قرأ آية الكرسي متدبرًا .. متفهمًا أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان وأن يكون محفوظا بذلك من شرور الشيطان .



آية الكرسي لها شأن عظيم لاشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة ، فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار

لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت »[٤] .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وكله بحفظ زكاة رمضان فأتاه آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذه أبو هريرة وقال : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، فشكا إليه فقراً وعيالاً فخلى سبيله . ففعل ذلك ثلاثا ، ثم قال له في الثالثة : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قال : ما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾ حتى تختمها ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فأخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بما فعل أسيره ، فقال ﷺ صدقك وهو كذوب . أتعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك شيطان »[٥] .

قال الزمخشري : فإن قلت : لم فُضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد ؟ قلت : لما فُضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة ، فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار[٦] .

وقال أبو حيان ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ، وكان تفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع ، وكانت اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بدعاً في أديانهم وعقائدهم ، ونسبوا إلى الله تعالى ما لا يجوز عليه ، وكان رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة ومنهم العرب ، وكانوا قد اتخذوا من دون الله

آلهة وأشركوا ، فصار جميع الناس المبعوث إليهم ﷺ على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم ، وذكر تعالى أن الكافرين هم الظالمون وهم الواضعون الشيء غير مواضعه ، أتى بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله تعالى بالوحدانية ، والمتضمنة صفاته العلا ، من الحياة والانفراد بالملك ، واستحالة كونه محلاً للحوادث ، وملكه لما في السموات والأرض وامتناع الشفاعة عنده إلا باذنه ، وسعة علمه ، وعدم إحاطة أحد بشيء من علمه إلا بارادته ، وباهر ما خلق من الكرسي العظيم الاتساع ، ووصفه بالمبالغة في العلو والعظمة ، إلى سائر ما تضمنته من أسمائه الحسنى وصفاته العلا فنبههم بها على العقيدة الصحيحة التي هي محض التوحيد وعلى طرح ما سواها[7] وقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل مستقلة ، كل جملة منها تحتاج إلى طول بيان ، ولولا مخافة السآمة لفعلنا ، ولكننا سنحاول أن نلمّ بها كلها جملة واحدة إن شاء الله تعالى ، فنقول وبالله التوفيق :

(الله) عَلَم على ذات الرب تبارك وتعالى ، ولم يسمّ به غيره .

وجملة (لا إله إلا هو) خبر عن تفرده سبحانه بالإلهية ، وأنه لا شريك له ولا ند له ، بل هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لا إله إلا هو ، أي لا معبود بحق غيره . فهو الإله المستحق للعبادة دون ما سواه من الآلهة الباطلة .

وبهذه الكلمة أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة لأهلها ، والنار للمستكبرين عنها قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[8] ، وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[9] .

وقال تعالى : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾[10] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »[11] .

وقوله : (الحيّ) يعني الذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة وغيرها من سائر الصفات الذاتية .

وحياة الله حياة أزلية أبدية ، لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية ، فهو الحي الذي لا يموت ، وهو الذي يحيي ويميت ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[12] . ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[13] .

(القيوم) أي : القائم بنفسه ، المستغنى عن عباده ، والقائم على كل نفس بما كسبت ، فهو سبحانه قائم

بتدبير هذا الكون وما فيه، وهو قائم بمصالح عباده. يحفظهم ويكلؤهم ويرزقهم، ويحصي عليهم ما يعملون من خير وشر. فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[١٤].

(لا تأخذه سنةٌ ولا نوم) لكمال حياته وقيوميته، لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية، وهذا توكيد لقيامه سبحانه على كل شيء، وقيام كل شيء به.

والسنة هي النعاس، والنوم أقوى منها، وهذا ترقٍّ في نفي النقص، فمن لا تغلبه السنّة قد يغلبه النوم، فقال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.

(له ما في السموات وما في الأرض) فهم جميعاً ملكه وعبيده، وهو المالك ذو الجلال والإكرام، وصاحب التصرف والسلطان ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[١٥]، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١٦]. ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[١٧].

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)؟ فالشفاعة ملكه: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[١٨].

ويوم القيامة يقوم الناس لرب العالمين لا يجرؤ أحد أن يسأله الشفاعة، ولذا يقول كل نبيّ: « ربّي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي »[١٩]. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾[٢٠].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[٢١]. وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[٢٣].

(يعلم ما بين أيديهم) من الأمور المستقبلية التي لا نهاية لها (وما خلفهم) من الأمور الماضية، وهو تعبير عن العلم الشامل الكامل، المستقصي لكل ما حولهم فهو يشمل حاضرهم الذي بين أيديهم، ويشمل غيبهم الذي كان ومضى، والذي سيكون وهو عنهم محجوب.

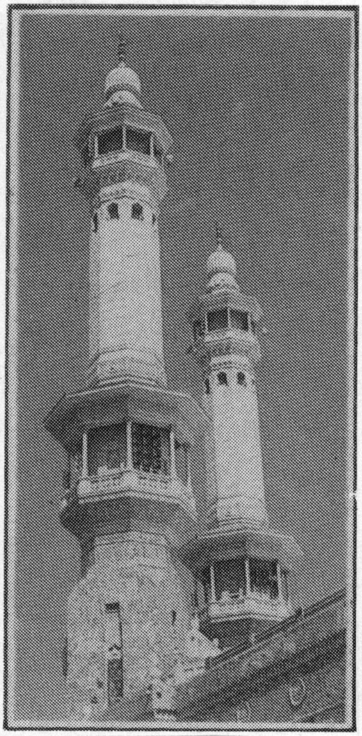
وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ

رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٢٤).

وقد أخبر الله تعالى عن إحاطة علمه بجميع الأشياء فقال:

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٢٥).

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٦). أما العباد فعلمهم محدود، وهو مستمد من علم الله تعالى، ولذا قال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَا بِمَا شَاءَ ﴾ فكل ما إليه الإنسان من علم فهو بإذن الله، والله هو الذي فتح له باب هذا العلم، ولولا إذن الله له في هذا العلم لظل جاهلاً، ومع ذلك فإن كثيرا من الناس حين يفتح لهم باب من العلم جديد ينسبونه إلى أنفسهم



ويتكبرون على الخلق بسببه، وينسون فضل الله وأنه الذي آتاهم هذا العلم وفتح لهم هذا الباب وينسون قول الله لهم: ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٧).

فالواجب على الناس إذا فتح لهم باب علم جديد، أو أذن لهم في معرفة جديدة أن يذكروا فضل الله، وأن يشكروه على ما علمهم، وأن لا يكون هذا العلم سبيلاً إلى التكبر في الأرض بغير الحق، فلولا الله ما أحاطوا بهذا الأمر الجديد علما، وهم على كثرة ما وقفوا عليه من العلم لا يزال علمهم محدوداً قاصراً، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلَا ﴾ (٢٨).

(وسع كرسيه السماوات والأرض): الكرسي موضع القدمين من العرش، وهو بالنسبة للعرش كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض (٢٩)، وهو مع هذا وسع السماوات والأرض، فما بالنا بالعرش ؟.

(ولا يؤوده حفظهما) أي لا يثقله ولا يكترثه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما وما بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة إليه فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل

شيء ، الحسيب على كل شيء .

(وهو العلي) بذاته على جميع مخلوقاته ، وهو العلي بعظمة صفاته ، وهو العلي الذي قهر جميع المخلوقات ، فله سبحانه العلو المطلق ، علو الذات ، وعلو القدرة وعلو القهر ، وهو :

(العظيم) الجامع لصفات العظمة والكبرياء ، والمجد والبهاء ، الذي تمجده القلوب ، وتعظمه الأرواح ، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلّت عن الصفة فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم .

وبعد :

فهذه معاني آية الكرسي ، وآية احتوت على هذه المعاني التي هي أجل المعاني ، يحق أن تكون أعظم آية ، ويحق لمن قرأها متدبراً متفهماً أن يمتلىء قلبه من اليقين والعرفان والإيمان ، وأن يكون محفوظاً بذلك من شرور الشيطان .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) مسلم (٨١٠ / ٥٥٦ / ١) ، أبو داود (١٤٤٧ / ٣٣٤ / ٤) .

(٢) ابن ماجه (٣٨٥٦ / ١٢٦٧ / ٢) .

(٣) الترمذي (٣٥٩٣ / ٢٠١ / ٥) .

(٤) الطبري (٧٥٣٢ / ١٣٤ / ٨) .

(٥) البخاري تعليقاً (٢٣١١ / ٤٨٧ / ٤) .

(٦) الكشاف (١٥٤ / ١) .

(٧) البحر المحيط (٢٧٦ و ٢٧٧ / ٢) .

(٨) الأنبياء : ٢٥ . (٩) النحل : ٢ . (١٠) النساء : ١٧٢ . (١١) الترمذي : (٣٦٠٨ / ٢٠٨ / ٥) .

(١٢) الرحمن : ٢٦ و ٢٧ . (١٣) القصص : ٨٨ . (١٤) الروم : ٢٥ . (١٥) مريم : ٩٣ - ٩٥ .

(١٦) آل عمران : ٢٦ و ٢٧ . (١٧) الشورى : ٤٩ و ٥٠ . (١٨) الزمر : ٤٤ .

(١٩) البخاري (٤٧١٢ / ٣٩٥ / ٨) ، مسلم (١٩٤ / ١٨٤ - ١٨٦ / ١) ، الترمذي (٢٥٥١ / ٤٣ - ٤٥ / ٤) .

(٢٠) النبأ : ٣٨ . (٢١) هود : ١٠٥ . (٢٢) النجم : ٢٦ . (٢٣) الأنبياء : ٢٦ - ٢٨ . (٢٤) مريم : ٦٤ .

(٢٥) الطلاق : ١٢ . (٢٦) الأنعام : ٥٩ . (٢٧) البقرة : ٣١ و ٣٢ . (٢٨) الإسراء : ٨٥ .

(٢٩) انظر « شرح الطحاوية » (ص ٣١٢) .

جند الله يوم أحد

الشيخان : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد . ومعه رجلان يقاتلان عنه . عليهما ثياب بيض . كأشدّ القتال . ما رأيتهما قبل ولا بعد . أخرجه البخاري كتاب المغازي . وكونهما من الملائكة لقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [سورة التحريم : ٤] .